ISSN: 1112-5357 مجلة الحضارة الإسلامية
E-ISSN: 2602-5736 جوان 2017 العدد: 01 المجلد: 18

النفاق مفهومه وأقسامه
-دراسة عقدية تحليلية-

Hypocricy, its Concept and Division
- An analytical doctrinal study

أ.د.سعود بن سعد العتيبي *
أستاذ العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى بمكة المكرمة – السعودية

Dr. Saud Ibn Saad Alotaibi
Professor of Doctrine,college of Dahwa and Fendamantales of religion.
Umm Al-qura University- Makkah- Saudia Arabia

البريد الإلكتروني: *ssotabi@uqu.edu.sa*

ملخص:

-يتناول البحث موضوع النفاق، وسيكون الحديث فيه عن حقيقته وأقسامه وصور كل قسم.

-هدف البحث:

بيان خطر النفاق والتحذير من الوقوع فيه وذلك ببيان أقسامه وصوره. وخاصة العقدي منه.

-منهج البحث:

استعملت المنهج التحليلي في دراسة النصوص الشرعية وأقوال أهل العلم وبيان الأسباب والعلل في ثنايا البحث وتوجيه الأقوال وفق عناصر المنهج التحليلي في البحث.

-من أهم نتائج البحث:

– أن موضوع النفاق قائم على موقف المنافقين من نبوة النبي ﷺ فجميع قسمي النفاق العقدي والعملي وصورهما تتعلقان به ﷺ.

– حقيقة النفاق إظهار التصديق بنبوة النبي ﷺ والتكذيب به في الباطن.

– صور النفاق العقدي جميعها مخرجة من الملة، أما صور النفاق الأصغر العملي فهي أخلاق للمنافقين فليس من اتصف بشيء منها كان لزاما منافقا

الكلمات المفتاحية : النفاق ، الايمان ، الكفر، النفاق العقدي.

*المؤلف المرسل : ssotabi@uqu.edu.sa corresponding author:

Abstract :

Hypocrisy is a doctrinal disease and one of the nullifiers of faith. It is the subject of our research. It will be discuss its fact, its divisions, and the forms of each division.

Research Topic:

-The research deals with the topic of hypocrisy. It will be discuss its fact, its divisions, and the forms of each division.

Objectives of the Research:

-Showing the danger of hypocrisy and warning against falling into it. Also, showing its divisions and forms, especially the doctrinal one.

Methodology of the Research:

-I used the analytical approach in studying sharia texts and the sayings of scholars, showing the causes inside the research, and directing sayings according to the elements of the analytical approach of research.

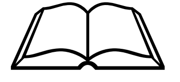
The most important results:

-the subject of hypocrisy is based on the attitude of the hypocrites regarding the prophethood of the Prophet (may Allah's prayers and peace be upon him). All the two divisions of doctrinal and practical hypocrisy and their forms relate to him (may Allah's prayers and peace be upon him).

-The fact of hypocrisy is to show believing in the prophethood of the Prophet (may Allah's prayers and peace be upon him) and denying him inwardly.

-The forms of doctrinal hypocrisy all lead to disbelief. However, the forms of less practical hypocrisy are morals of the hypocrites. Therefore, not those who are characterized with anything of it, are obligatorily considered hypocritical.

Keywords *: hypocrisy, faith, disbelief, doctrinal hypocrisy.*



corresponding author: *ssotabi@uqu.edu.sa* *المؤلف المرسل :

المُقدِّمة: (1)

الحمد لله وحده، والصلاة على محمد وعلى آله وصحبه وسلم؛ وأما بعد:

فإن النفاق يعتبر من أشد الأمراض العقدية فتكاً بدين المرء وبوحدة الأمة الإسلامية، ولشره المستطير تحدث عنه الكتاب المبين، فأفاض في ذلك وأعاد؛ فتحدث عن عقائد المنافقين، وأخلاقهم، وسلوكهم، وحيلهم؛ بل ولغتهم، وأساليبهم في الخطاب، ولغة جسدهم، وصورهم عند نزول الوحي، وما أعده لهم من الخزي في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة.

ولقد عدهم الله – عز وجل – قسمًا مستقلًا بذاته، حينما قسم الخلق إلى ثلاثة أقسام –كما في مطلع سورة البقرة– المؤمنون، والكفار، والمنافقون، وعند الحديث عن الكفار خصهم بآيتين كريمتين وأفرد للمنافقين ثلاث عشرة آية، وأفرد في القرآن سورة باسمهم هي سورة المنافقون.

ولقد اهتمت السنة النبوية بالنفاق والمنافقين فكشفت أيضا عن أخلاق وسلوكيات جديدة وأكدت ما سبق أن ذكره القرآن الكريم من أحوال المنافقين إلا أن القرآن تميز وتفرد بالحديث عن الجانب العقدي عند المنافقين بما لا مزيد عليه، كما ركزت السنة على الجانب الأخلاقي والسلوكي للمنافقين.

ولقد أدرك أئمة السلف من خلال نصوص الوحي خطورة النفاق والمنافقين؛ فحذروا منه ومنهم أشد التحذير وتخوفوا على الأمة من شرهم؛ فقاموا بتصنيف الكتب والمصنفات التي تفضح النفاق وأهله؛ ومن أبرز تلك المصنفات في القديم:

1- (صفة المنافق وذم المنافقين) لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفِرْيابِي (ت 301هـ).

2- (صفة النفاق ونعت المنافقين) لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران الأصبهاني (ت 430هـ).

وقد جمع المصنِّفان ما في السنة النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين وأئمة السلف المهديين من النصوص الكاشفة لمعالم النفاق وعقائد وأقوال وأعمال وأخلاق المنافقين؛ ليحذر من التشبه بهم المؤمنون.

وأما في العصر الحاضر فلقد صنفت الكتب في ذلك، ومن أشهرها: (ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ) للدكتور عبد الرحمن حبنكة الميداني. وأما في الدراسات الأكاديمية فمن أبرز الرسائل الجامعية في ذلك:

1- (المنافقون في القرآن الكريم) للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي.

2- (النفاق وأثره في حياة الأمة) للدكتور عادل بن علي الشدي.

3- (النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية المطهرة) للدكتور عبد الرحمن بن جميل قصاص.

وهذه الرسائل تُعد في الحقيقة جهدًا مشكورًا، لكن يلاحظ أنها قد تناولت موضوع النفاق والمنافقين من خلال إما التفسير الموضوعي؛ كما في حال الدراستين الأوليين، أو من خلال الدراسة الحديثية؛ كما في الرسالة الأخيرة، ولكن لم يتم في تلك الدراسات دراسة النفاق والمنافقين من خلال المنظور العقدي. لأجل ذلك أحببت أن أفرد للنفاق دراسة مستقلة بعنوان: (النفاق مفهومه وأقسامه دراسة عقدية تحليلية).

المبحث الأول: مفهوم النفاق. (2)

المطلب الأول: تعريف النفاق لغة:

مما ينبغي أن يعلم أن مصطلح "النفاق والمنافق" لم يكن معروفا في لغة العرب كما نبه على ذلك الأئمة؛ ومنهم الإمام ابن قتيبة فقال: "والنفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب قبل الإسلام تعرفه" [1]. ومعنى قول الإمام ابن قتيبة هنا أن النفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب قبل الإسلام تعرفه؛ أي: من حيث الاسم فلم تكن العرب تستعمل هذا اللفظ في لغتها حتى جاء به الوحي، وإلا فهو مشتق من لغتهم فهو من النفق أو نافقاء اليربوع، وفي بيان هذا المعنى قال الإمام ابن الأثير: "وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه؛ وإن كان أصله في اللغة معروفا"[2].

وذهب إلى هذا التفسير الإمام ابن منظور [3]، وابن تيمية [4] رحمهما الله.

---

(1) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: (29).
(2) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: (98/5).
(3) ابن منظور، لسان العرب، بيروت: (10/ 359).
(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (300/7).

وأما معنى النفاق في اللغة فقد قال الإمام ابن فارس في بيان أصل اشتقاق لفظ النفاق: "النُّونُ وَالْفَاءُ وَالْقَافُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى انْقِطَاعِ شَيْءٍ وَذَهَابِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى إِخْفَاءِ شَيْءٍ وَإِغْمَاضِهِ. وَمَتَى حُصِّلَ الْكَلَامُ فِيهِمَا تَقَارَبَا.

فَالْأَوَّلُ: نَفَقَتِ الدَّابَّةُ نُفُوقًا: مَاتَتْ، وَنَفَقَ السِّعْرُ نَفَاقًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَمْضِي فَلَا يَكْسُدُ وَلَا يَقِفُ.... وَالْأَصْلُ الْآخَرُ النَّفَقُ: سَرَبٌ فِي الْأَرْضِ لَهُ مَخْلَصٌ إِلَى مَكَانٍ. وَالنَّافِقَاءُ: مَوْضِعٌ يُرَقِّقُهُ الْيَرْبُوعُ مِنْ جُحْرِهِ فَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ الْقَاصِعَاءِ ضَرَبَ النَّافِقَاءَ بِرَأْسِهِ فَانْتَفَقَ، أَيْ خَرَجَ." [1].

ولقد ذهب أهل العلم إلى أن النفاق مشتق من الأصل الثاني الذي هو بمعنى إِخْفَاءِ شَيْءٍ وَإِغْمَاضِهِ، ولكنهم اختلفوا من أي مواد هذا الأصل اشتق، ولهم في ذلك قولين:

الأول: انه مشتق من النفق.

الثاني: انه مشتق من نافقاء اليربوع.

وعلى الثاني جماهير أهل اللغة كأبي عبيد القاسم بن سلام [2]، وابن قتيبة [3]، والأزهري [4]، وابن فارس [5]، وابن سيده [6]، وابن منظور [7]...

المطلب الثاني: تعريف النفاق شرعا:

عند النظر في بيان معنى النفاق في الاصطلاح الشرعي نجد أن الشارع الحكيم جعل أَسَاسَ النِّفَاقِ – الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهِ وصف الْمُنَافِقِ بالنفاق– هو اختلاف السر والعلانية والظاهر والباطن [8].

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (455/5).
(2) ابن سلام، غريب الحديث: (13/3).
(3) ابن قتيبة، غريب القرآن: (29).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (156/9).
(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (455/5).
(6) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (448/6).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (359/10).
(8) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (620/7)

ونحن هنا نلحظ الاتفاق بين المعنى اللغوي للنفاق الذي هو إظهاره غير ما يضمر تشبيهاً باليربوع، وبين المعنى الشرعي للنفاق هنا، ومن الأدلة على هذا المعنى:

ما ورد عَنْ أَنَسٍ ﷺأنه قَالَ: "قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ: إِنَّا نَكُونُ عِنْدَكَ عَلَى حَالٍ، فَإِذَا فَارَقْنَاكَ كُنَّا عَلَى غَيْرِهِ، فَنَخَافُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ النِّفَاقَ قَالَ: (كَيْفَ أَنْتُمْ وَرَبُّكُمْ؟) قَالُوا: اللهُ رَبُّنَا فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ قَالَ: (كَيْفَ أَنْتُمْ وَنَبِيُّكُمْ؟) قَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّنَا فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، قَالَ:(لَيْسَ ذَلِكَ النِّفَاقَ) [1].

فالنبي ﷺ هنا جعل اختلاف السر والعلانية والظاهر والباطن في الأمور الدينية علامة على النفاق، كما دل الحديث أيضا على تقرر هذا المعنى في فهم الصحابة ﷺ، ولذا خافوا على أنفسهم النفاق، قال الإمام ابن رجب الحنبلي: "وَلَمَّا تَقَرَّرَ عِنْدَ الصَّحَابَةِ ﷺ أَنَّ النِّفَاقَ هُوَ اخْتِلَافُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ خَشِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ إِذَا تَغَيَّرَ عَلَيْهِ حُضُورُ قَلْبِهِ وَرِقَّتُهُ وَخُشُوعُهُ عِنْدَ سَمَاعِ الذِّكْرِ بِرُجُوعِهِ إِلَى الدُّنْيَا وَالِاشْتِغَالِ بِالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَمْوَالِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُ نِفَاقًا، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ [2] عَنْ "حَنْظَلَةَ الْأُسَيْدِيِّ أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ، نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالصِّبْيَةَ فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَكَذَلِكَ، فَانْطَلَقَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: (مَالَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟) قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَذَكَرَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَوْ تَدُومُونَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي مَجَالِسِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً) .

وَفِي مُسْنَدِ الْبَزَّارِ [3] عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: "قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَكُونُ عِنْدَكَ عَلَى حَالٍ، فَإِذَا فَارَقْنَاكَ كُنَّا عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: (كَيْفَ أَنْتُمْ وَرَبُّكُمْ؟) قَالُوا: اللَّهُ رَبُّنَا فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، قَالَ: (لَيْسَ ذَاكُمُ النِّفَاقَ)"[4].

ومما يزيد ذلك إيضاحاً ما ورد عن أبي وائل قال: قال حذيفة: "المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ. قلنا: يا أبا عبد الله وكيف ذلك. قال: لأن أولئك كانوا يسرون نفاقهم وإن هؤلاء أعلنوه"[1].

---

(1) الأصبهاني، صفة النفاق ونعت المنافقين: (332/2).

(2) كتاب التوبة، برقم (2750).

(3) برقم: (52)

(4) ابن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: (495/2).

وبناء على ما سبق في معنى النفاق في اللغة وورود ما وافق ذلك من الأحاديث عن النبي ﷺ والآثار عن السلف عرّف أئمة السلف النفاق والمنافقين، فمن ذلك قول الإمام ابن جرير : "معنى النفاق إنما هو إظهار المرء بلسانه قولا ما هو مستبطن خلافه، كنافقاء اليربوع الذي يتخذه لنفسه كي إن طلبه صائده من مدخله منها، قصع من قاصعائه... فكذلك نفاق المنافق، هو اتخاذه ما يظهر من القول بلسانه بالإيمان، خداعا للمؤمنين بذلك، وهو مستبطن بقلبه غير الذي يظهره لهم بلسانه ..." [2].

وقال الإمام يحيى العمراني: "والمنافق هو من يدخل في الإسلام باللفظ ويخرج منه بالاعتقاد."[3].

(3) المبحث الثاني: أقسام النفاق وصوره:

تمهيد: يدخل في مفهوم ومعنى النفاق –بالمعنى السابق الوارد بيانه عن السلف– قسما النفاق وهما: [القسم الأول: النفاق العقدي (الأكبر). القسم الثاني: النفاق العملي:(الأصغر)].

ومما لا شك فيه أن الشارع الحكيم لم يقسم النفاق بهذين القسمين، ولكن السلف باستقرائهم لنصوص الوحي الواردة في النفاق ومراعاة أيضا منهم لمقصود الشارع الحكيم قسموا النفاق إلى هذين القسمين؛ العقدي الأكبر والعملي الأصغر؛ وذلك لكي يُفهم خطاب الشارع الحكيم على الوجه المراد شرعا، فلا تحمل النصوص الواردة في النفاق الأصغر على الأكبر أو العكس؛ حتى لا تضل الأفهام ويقع الخطأ في الأحكام على الأعيان، فيكفَّر المسلم ويحكم بالإسلام للكافر المحارب لله ورسوله ﷺ.

وصنيع السلف هذا لا حرج فيه فهو لا يعتبر استدراكا على الشارع بل هو زيادة بيان لمقصود الشارع ليؤمن اللبس والخلل في فهم مراده.

وأما كلام السلف في تقسيم النفاق لهذين القسمين ودخولهما في مفهوم النفاق فمنه قول الإمام الحسن البصري : "النفاق نفاقان، نفاق تكذيب بمحمد ﷺ فذاك كفر، ونفاق خطايا وذنوب فذاك يرجى لصاحبه." [1].

---

(1) العكبري، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: (690/2).
(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (643/2).
(3) العمراني، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار: (733/3).

وعنه أنه قال: "النفاق نفاقان نفاق بالتكذيب ونفاق بالعمل" (2).

ولقد عقد الإمام ابن منده في كتابه الإيمان بابا قرر فيه ما ورد آنفا عن الحسن البصري فقال : "ذِكْرُ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النِّفَاقَ عَلَى ضُرُوب: نفَاقُ كُفْرٍ، وَنِفَاقُ قَلْب، وَلِسَانٍ، وَأَفْعَالٍ وَهِيَ دُونَ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[النساء:145] (3).

فالمراد بنفاق الكفر في قول ابن منده النفاق العقدي الأكبر كالتكذيب بمحمد ﷺ، والمراد بنفاق القلب كالرياء مثلا، ونفاق اللسان كمثل الكذب في الحديث، ونفاق الأفعال كمثل خيانة الأمانة، وهذه الثلاث داخلة في معنى النفاق العملي الأصغر.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في التفريق بين أنواع النفاق وحكم كل نوع : "وَالنِّفَاقُ يُطْلَقُ عَلَى النِّفَاقِ الْأَكْبَرِ الَّذِي هُوَ إضْمَارُ الْكُفْرِ وَعَلَى النِّفَاقِ الْأَصْغَرِ الَّذِي هُوَ اخْتِلَافُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ فِي الْوَاجِبَاتِ...

ثُمَّ إبْطَانُ مَا يُخَالِفُ الدِّينَ إمَّا أَنْ يَكُونَ كُفْرًا أَوْ فِسْقًا. فَإِذَا أَظْهَرَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ وَأَبْطَنَ التَّكْذِيبَ فَهَذَا هُوَ النِّفَاقُ الْأَكْبَرُ الَّذِي أُوعِدَ صَاحِبُهُ بِأَنَّهُ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ. وَإِنْ أَظْهَرَ أَنَّهُ صَادِقٌ أَوْ مُوفٍ أَوْ أَمِينٌ وَأَبْطَنَ الْكَذِبَ وَالْغَدْرَ وَالْخِيَانَةَ وَنَحْوَ ذَلِكَ. فَهَذَا هُوَ النِّفَاقُ الْأَصْغَرُ الَّذِي يَكُونُ صَاحِبُهُ فَاسِقًا"(4).

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي: "وَالَّذِي فَسَّرَهُ بِهِ أَهْلُ الْعِلْمِ الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّ النِّفَاقَ فِي الشَّرْعِ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا: النِّفَاقُ الْأَكْبَرُ...وَالثَّانِي: النِّفَاقُ الْأَصْغَرُ." (5).

وأما تسمية النفاق الأكبر بالعقدي فلقد ورد على ألسنة بعض علماء السلف؛ ومن ذلك قول الإمام ابن كثير : "النِّفَاقُ: هُوَ إِظْهَارُ الْخَيْرِ وَإِسْرَارُ الشَّرِّ، وَهُوَ أَنْوَاعٌ: اعْتِقَادِيٌّ، وَهُوَ الَّذِي يَخْلُدُ صَاحِبُهُ فِي النَّارِ، وَعَمَلِيٌّ وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ..." (6).

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (640/2).
(2) العكبري، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، (699/2).
(3) ابن منده، الإيمان: (603/2).
(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (145-140/11)
(5) ابن رجب، جامع العلوم والحكم (481/2).
(6)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (176/1).

- تعريف قسمي النفاق:

أولا: تعريف النفاق الأكبر: لقد عرف الأئمة النفاق الأكبر بتعريفات عديدة متنوعة لكنها في النتيجة مؤتلفة ومن ذلك ما ورد عن الإمام ابن جرير في تعريفه للمنافقين فقال إنهم: "هم الَّذِينَ يُظْهِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ الإِيمَانَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَيُسِرُّونَ الْكُفْرَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ" [1]

وقال الإمام اللالكائي: "والنفاق هو الكفر أن يكفر بالله ويعبد غيره ويظهر الإسلام في العلانية مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ" [2].

وقال الإمام الواحدي : "وأما كفر النفاق فأن يقر بلسانه، ويكفر بقلبه" [3].

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي: "النِّفَاقُ الْأَكْبَرُ، وَهُوَ أَنْ يُظْهِرَ الْإِنْسَانُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيُبْطِنَ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ كُلَّهُ أَوْ بَعْضَهُ" [4].

ثانيا: تعريف النفاق الأصغر: عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال بأنه: "اخْتِلَافُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ فِي الْوَاجِبَاتِ...." [5]. وقال الإمام ابن رجب الحنبلي: "النِّفَاقُ الْأَصْغَرُ، وَهُوَ نِفَاقُ الْعَمَلِ، وَهُوَ أَنْ يُظْهِرَ الْإِنْسَانُ عَلَانِيَةً صَالِحَةً، وَيُبْطِنَ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ" [6].

ومعنى قول شيخ الإسلام ابن تيمية وابن رجب رحمهما الله في تعريف النفاق الأصغر أن يظهر الإنسان صلاحه وذلك بادعائه الصدق والأمانة والوفاء بالعهد –وهذه كلها واجبات شرعية يجب على المؤمن الالتزام بها– ولكنه يعمل بخلاف ذلك فيكذب في الحديث ويخون الأمانة ويغدر بالعهد ولا يفي بالوعد. ومما يحسن بنا

---

1) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: (548/11).
(2) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة: (182/1).
(3) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: (84/1).

(4) ابن رجب، جامع العلوم والحكم: (481/2).
(5) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (140/11).
(6) ابن رجب، جامع العلوم والحكم: (481/2).

التنبيه عليه أن علماء السلف أطلقوا على النفاق الأصغر مسمى (الفسق) قال شيخ الإسلام ابن تيمية واصفا من تلبس به: "النِّفَاقُ الْأَصْغَرُ الَّذِي يَكُونُ صَاحِبُهُ فَاسِقًا" (1).

– صور النفاق: لقد أطلق القرآن الكريم والسنة النبوية وأئمة السلف رضوان الله عليهم النفاق على صور عديدة وهي في مجملها لا تخرج عن أن تكون داخلة في أحد قسمي النفاق، ولذا سنحصر كل صورة ضمن القسم الذي يناسبها.

المطلب الأول: صور النفاق الأكبر:

النفاق الأكبر الأصل فيه أن يكون اعتقادياً في القلب، ولعل هذا هو السر في أنه لا يمكن لأحد أن يطلع عليه –ولا حتى النبي محمد ﷺ– لأنه مخفي في الصدور و لا يعلم ذلك إلا من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور –الله ﷻ– ولكن تُعلم هذه الصور من خلال ما قصه الله علينا في كتابه الكريم وما أخبرنا به النبي ﷺ –مما هو من إعلام الله له– عن صفات النفاق والمنافقين، وكذا من خلال ما يظهر من فلتات لسانهم الدالة على حقيقة ما في قلوبهم من النفاق الباطن، وبهذا يمكن معرفتهم ومجاهدتهم كما أمرنا الله تعالى في كتابه؛ وهذا ما بينه ابن تيمية بقوله: "فَإِنْ قِيلَ: فَاَللَّهُ قَدْ أَمَرَ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي آيَتَيْنِ مِنْ الْقُرْآنِ فَإِذَا كَانَ الْمُنَافِقُ تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ فِي الظَّاهِرِ فَكَيْفَ يُمْكِنُ مُجَاهَدَتُهُ؟ قِيلَ: مَا يَسْتَقِرُّ فِي الْقَلْبِ مِنْ إيمَانٍ وَنِفَاقٍ لَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ مُوجِبُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: "مَا أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إلَّا أَبْدَاهَا اللَّهُ عَلَى صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ"، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ الْمُنَافِقِينَ:﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٠]، فَإِذَا أَظْهَرَ الْمُنَافِقُ مِنْ تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ وَفِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ مَا يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ عُوقِبَ عَلَى الظَّاهِرِ وَلَا يُعَاقَبُ عَلَى مَا يُعْلَمُ مِنْ بَاطِنِهِ بِلَا حُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْلَمُ مِنْ الْمُنَافِقِينَ مَنْ عَرَّفَهُ اللَّهُ بِهِمْ وَكَانُوا يَحْلِفُونَ لَهُ وَهُمْ كَاذِبُونَ؛ وَكَانَ يَقْبَلُ عَلَانِيَتَهُمْ وَيَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إلَى اللَّهِ" (2).

الصورة الأولى: تكذيب الله ﷻ أو القرآن أو الرسول ﷺ:

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (140/11).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (620/7)

لقد تحدث الكتاب المبين عن هذه الصفة في المنافقين في غير موضع ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)﴾ [البقرة:8-10].

قص الله علينا في هذه الآيات تكذيب المنافقين بالرسول ﷺ وذلك من خلال دعواهم الإيمان به في العلن وتكذيبهم به في السر إذا خلوا بشياطينهم من الإنس (المشركين واليهود). وهذا التكذيب الأساس فيه التكذيب بالقلب أي عدم التصديق برسالته، وقد يصاحبه التكذيب باللسان ولكن على وجه السر والخفاء وذلك في مجالسهم الخاصة، ولذا سموا بالمنافقين لإخفائهم ذلك التكذيب، ولو كانوا معلنين به لما سموا بالمنافقين بل سموا بالمرتدين المعلنين للكفر بعد الإيمان.

قال ابن جرير في بيانه لمعنى هذه الصفة: "أَجْمَعَ جَمِيعُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ، وَأَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ صِفَتُهُمْ. ... عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:8] يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَمَنْ كَانَ عَلَى أَمْرِهِمْ"... عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: "هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى ثَلَاثَ عَشْرَةَ فِي نَعْتِ الْمُنَافِقِينَ"......عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[البقرة:8] قَالَ: هَذَا الْمُنَافِقُ يُخَالِفُ قَوْلُهُ فِعْلَهُ وَسِرُّهُ عَلَانِيَتَهُ وَمَدْخَلُهُ مَخْرَجَهُ وَمَشْهَدُهُ مَغِيبَهُ" (1).

وكَذَلِكَ فَسَّرَهُ ابْنِ مَسْعُودٍ والْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، والسُّدِّيُّ (2).

ثم قال ابن جرير: "وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمَّا جَمَعَ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَمْرَهُ فِي دَارِ هِجْرَتِهِ وَاسْتَقَرَّ بِهَا قَرَارُهُ وَأَظْهَرَ اللَّهُ بِهَا كَلِمَتَهُ، وَفَشَا فِي دُورِ أَهْلِهَا الْإِسْلَامُ، وَقَهَرَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ مَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، وَذَلَّ بِهَا مَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ أَظْهَرَ أَحْبَارُ يَهُودِهَا لِرَسُولِ اللَّهِﷺ الضَّغَائِنَ وَأَبْدَوْا لَهُ الْعَدَاوَةَ وَالشَّنْآنَ حَسَدًا وَبَغْيًا إِلَّا نَفَرًا مِنْهُمْ، هَدَاهُمُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (1/274-276)

(2) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: (1/42).

لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:109] وطَابَقَهُمْ سِرًّا عَلَى مُعَادَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَبَغْيِهِمُ الْغَوَائِلَ قَوْمٌ مِنْ أَرَاهِطِ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ آوَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَنَصَرُوهُ وَكَانُوا قَدْ عَتَوْا فِي شِرْكِهِمْ وَجَاهِلِيَّتِهِمْ قَدْ سُمُّوا لَنَا بِأَسْمَائِهِمْ، كَرِهْنَا تَطْوِيلَ الْكِتَابِ بِذِكْرِ أَسْمَائِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ. وَظَاهَرُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ فِي خَفَاءٍ غَيْرِ جِهَارٍ حَذَارَ الْقَتْلِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ والسِّبَاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَرُكُونًا إِلَى الْيَهُودِ، لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ وَسُوءِ الْبَصِيرَةِ بِالْإِسْلَامِ. فَكَانُوا إِذَا لَقُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺوَأَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ، قَالُوا لَهُمْ حَذَارًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ: إِنَّا مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِالْبَعْثِ، وَأَعْطُوهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ لِيَدْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ حُكْمَ اللَّهِ فِيمَنِ اعْتَقَدَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الشِّرْكِ لَوْ أَظْهَرُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا هُمْ مُعْتَقِدُوهُ مِنْ شِرْكِهِمْ، وَإِذَا لَقُوا إِخْوَانَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ فَخَلَوْا بِهِمْ، ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:14] فَإِيَّاهُمْ عَنَى جَلَّ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:8].

ومن دلائل هذه الصورة في الكتاب العزيز ما ذكره الله من إبطال شهادة المنافقين للنبي بالرسالة وبيانه تعالى كذبهم في تلك الشهادة فقال: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:1].

قال الإمام السمعاني : "قَوْله تَعَالَى: ﴿ إِذا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون:1] قَالَ أهل التَّفْسِير: نزلت السُّورَة فِي شَأْن عبد الله بن أبي بن سلول وَأَصْحَابه، كَانُوا يأْتونَ النَّبِي وَيَقُولُونَ: نَحن مُؤمنُونَ بك، ونشهد إِنَّك لرَسُول الله، وَأَن مَا جِئْت بِهِ حق، ثمَّ إِذا رجعُوا إِلَى مَا بَينهم أظهرُوا الْكفْر. وَعَن بَعضهم: أَن قَوْله تَعَالَى: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ مَعْنَاهُ: نحلف بِدَلِيل أَن الله تَعَالَى قَالَ بعد هَذِه الْآيَة: ﴿...اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ...﴾(المنافقون:2) ، قَالَ الشَّاعِر:

وَأشْهد عِنْد الله أَنِّي أحبها   فَهَذَا لَهَا عِنْدِي فَمَا عِنْدهَا ليا

أَي: أَحْلف.

وَقَوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:1].

هُوَ تطييب لقلب النَّبِي ﷺ وتسلية لَهُ، وَمَعْنَاهُ: أَن علمي أَنَّك رَسُول الله وشهادتي لَك بذلك خير من شَهَادَتهم.

وَقَوله:﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة:4]

قَالَ أَبُو عبيد: أَي: الْكَافِرُونَ، يُسَمِّي الْكفْر باسم الْكَذِب. وَقَالَ غَيره: هُوَ الْكَذِب حَقِيقَة. وَسمي قَوْلهم كذبا؛

لأَنهم كذبُوا على قُلُوبِهم. وَقيل: لما أظهرُوا بألسنتهم خلاف مَا كَانَ فِي ضمائرهم سمي بذلك كذبا، كَالرّجلِ يخبر بالشَّيْء على خلاف مَا هُوَ عَلَيْهِ." [1].

وما ذكره أهل العلم في تفسيرهم السابق للآية يؤيده ما ورد في سبب نزولها، فعَن زيد بن أَرقم رضي الله عنه قَالَ: خرجنَا مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي سفر فَأصَاب النَّاس شدّة؛ فَقَالَ عبد الله بن أبيّ لأَصْحَابه: لَا تنفقوا على من عِنْد رَسُول الله حَتَّى يَنْفضوا من حوله وَقَالَ: لَئِن رَجعْنَا إِلَى الْمَدِينَة ليخرجن الْأَعَز مِنْهَا الْأَذل؛ فَأتيت النَّبِي ﷺ؛ فَأَخْبَرته بذلك؛ فَأرْسل إِلَى عبد الله بن أبيّ؛ فَسَأَلَهُ فاجتهد يَمِينه مَا فعل، فَقَالُوا: كذب زيد رَسُول الله ﷺ، فَوَقع فِي نَفسِي مِمَّا قَالُوا شدَّة حَتَّى أنزل الله تصديقي فِي﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:1] فَدَعَاهُمْ النَّبِي ﷺ لِيَسْتَغْفِر لَهُم فلووا رؤوسهم، وَهُوَ قَوْله:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:4] قَالَ: كَانُوا رجَالًا أجمل شَيْء..." [2].

الصورة الثانية: الإعراض عن حكم الله ورسولهﷺ: من صفات المنافقين إعراضهم عن حكم الشريعة الغراء إلا إن كانت لهم مصلحة في التحاكم إليها فهم حينئذ يحتكمون إليها ليس اقتناعاً منهم بوجوب ذلك ديانة، بل لما فيه من المصلحة المتحققة لهم التي كفلها الشارع لهم في هذه المسألة.

ولقد اعتبر الشارع الحكيم توليهم وإعراضهم عن حكمه وعدم انقيادهم طوعا واختيارا ابتغاء مرضاة الله ورسوله كفرا اكبر مخرجا من الملة، وذلك كما قال تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50)﴾ [النور:47-50].

ولقد قال السلف رضوان الله عليهم أن المراد بهذه الآيات المنافقون، ومن ذلك قول أَبِي الْعَالِيَةِ الرياحي فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ [النور:47] قَالَ: "هَؤُلاءِ المنافقين." [3].

---

(1) السمعاني، تفسير القرآن: (5/ 440).
(2) صحيح البخاري برقم: (4903)، وصحيح مسلم برقم: (2772).
(3) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: (2621/8).

وقال قَتَادَةَ فِي قَوْلِهُ: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾[النور:47] قَالَ: "أُنَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ أَظْهَرُوا الإِيمَانَ وَالطَّاعَةَ وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ" [1].

وقال الإمام ابن جرير : "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَيَقُولُ الْمُنَافِقُونَ: صَدَّقْنَا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ. يَقُولُ: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:47] ثُمَّ تُدْبِرُ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَدْعُو إِلَى الْمُحَاكَمَةِ إِلَى غَيْرِهِ خَصْمَهَا. يَقُولُ: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ ...﴾ [النور:47] وَلَيْسَ قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةِ، يَعْنِي قَوْلَهُ:﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ...﴾ [النور:47] لِتَرْكِهِمُ الِاحْتِكَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ إِذَا دُعُوا إِلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾[النور:48]، يَقُولُ: وَإِذَا دُعِيَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﴿...إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ [النور:48] فِيمَا اخْتَصَمُوا فِيهِ بِحُكْمِ اللَّهِ، ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ.. ﴾[النور:48] عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَالرِّضَا بِحُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ :﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمَ الظَّالِمُونَ (50)﴾ [النور:47-50]. وَإِنْ يَكُنِ الْحَقُّ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، فَيَأْبَوْنَ وَيُعْرِضُونَ عَنِ الْإِجَابَةِ إِلَى ذَلِكَ، قِبَلَ الَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، يَأْتُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مُذْعِنِينَ، يَقُولُ: ﭽﭾﭿ [النور:49] مُنْقَادِينَ لِحُكْمِهِ، مُقِرِّينَ بِهِ، طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ؛ يُقَالُ مِنْهُ: قَدْ أَذْعَنَ فُلَانٌ بِحَقِّهِ، إِذَا أَقَرَّ بِهِ طَائِعًا غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَانْقَادَ لَهُ وَسَلَّمَ وَكَانَ مُجَاهِدٌ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُ يَقُولُ فِي قَوْلِهُ:﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور:49] قَالَ: سُرَّعًا "وَقَوْلُهُ:﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمَ الظَّالِمُونَ﴾ [النور:50] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَفِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُعْرِضُونَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، شَكٌّ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ، فَهُمْ يَمْتَنِعُونَ

(1) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، (2621/8).

مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَى حُكْمِهِ وَالرِّضَا بِهِ؟ :﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ...﴾ [النور:50] إِذَا احْتَكَمُوا إِلَى حُكْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ؟...." [1].

وأشار الشيخ الطاهر بن عاشور إلى أن الآيات وإن تحدثت عن مسلك طائفة من المنافقين في إعراضهم عن حكم الشريعة؛ فإن عامة المنافقين لديهم نفس الاستعداد عندما تتطلب الظروف ذلك فقال: "...وَقَدْ أَشَارَتِ الْآيَةُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ عَامَّةً، ثُمَّ إِلَى فَرِيقٍ مِنْهُمْ أَظْهَرُوا عَدَمَ الرِّضَى بحكم الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ مَوْسُومٌ بِالنِّفَاقِ، وَلَكِنَّ أَحَدَهُمَا اسْتَمَرَّ عَلَى النِّفَاقِ وَالْمُوَارَبَةِ وَفَرِيقًا لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ أَظْهَرُوا الرُّجُوعَ إِلَى الْكُفْرِ بِمَعْصِيَةِ الرَّسُول عَلَنًا فَفِي قَوْلِهِ: (يَقُولُونَ) إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ حَظَّهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ مُجَرَّدُ الْقَوْلِ دُونَ الِاعْتِقَادِ.... وَعَبَّرَ بِالْمُضَارِعِ لِإِفَادَةِ تَجَدُّدِ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَاسْتِمْرَارِهِمْ عَلَيْهِ لِمَا فِيهِ مِنْ تَكَرُّرِ الْكَذِبِ وَنَحْوِهِ مِنْ خِصَالٍ ... وَإِنَّمَا يظْهر كفرهم عِنْد مَا تَحُلُّ بِهِمُ النَّوَازِلُ وَالْخُصُومَاتُ فَلَا يَطْمَئِنُّونَ بِحُكْمِ رَسُول اللهِ ﷺ فَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾[النور:48] عَائِدٌ إِلَى مُعَادِ ضَمِيرِ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [النور:47] وَإِسْنَادُ فِعْلِ دُعُوا إِلَى جَمِيعِهِمْ وَإِنْ كَانَ الْمُعْرِضُونَ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَا جَمِيعَهُمْ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُمْ سَوَاءٌ فِي التَّهَيُّؤِ إِلَى الْإِعْرَاضِ وَلَكِنَّهُمْ لَا يظهرونه إِلَّا عِنْدَ مَا تَحُلُّ بِهِمُ النَّوَازِلُ فَالْمُعْرِضُونَ هُمُ الَّذِينَ حَلَّتْ بِهِمُ الْخُصُومَاتُ." [2].

الصورة الثالثة: بغض الرسول ﷺ: لا شك أن بغض المنافقين للرسول ﷺ من أعظم الأسباب الصّادة لهم عن الإيمان به و اتّباعه، ولقد لاحظ النبي ﷺ هذه الصفة الظاهرة في المنافقين، وعبّر عنها – بأبي وأمي ﷺ– بصورة مؤثرة للغاية تهز كيان النفوس المؤمنة المحبة لله ورسوله ﷺ، وذلك فيما جاء في الحديث الذي رواه رفاعة بن عرابة الجهني فقد قال رضي الله عنه: "صدرنا مع رسول الله ﷺ من مكة فجعل ناس يستأذنون رسول الله ﷺ فجعل يأذن لهم؛ فقال رسول الله ﷺ: (ما بال شق الشجرة التي تلي رسول الله أبغض إليكم من الشق الآخر) قال: فلم نر من القوم إلا باكيا..." [3].

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (17/341-343).

(2) ابن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: (18/267-275).

(3)أخرجه الإمام أحمد في مسنده:(4/16)، وابنُ ماجة مختصراً برقم:"4285" في الزهد: باب صفة أمة محمد ﷺ، والطبراني في المعجم الكبير برقم:"4556"، و الطيالسي في مسنده برقم: "1291" و01292"، والبزار في مسنده برقم:"3543" وابن

فالنبي ﷺ أشار إلى هذه الصفة في المنافقين بصورة غير مباشرة وذلك عندما رأى تجنبا من بعض مَن كان معه في سفره عن طلب قربه والحرص عن الابتعاد عنه ما أمكن، ومن المعلوم أن المحب يسعى دوماً أن يكون قريبا ممن يحب، بل يبذل الغالي والنفيس لنيل ذلك القرب، فغياب الاهتمام بقرب النبي ﷺ دليل على عدم وجود ذلك الحب له ﷺ، بل هو دليل على وجود ضده وهو بغضه والعياذ بالله. ومما لاشك فيه أن المؤمنين بالله ورسوله ﷺ حقا وصدقا يحبون الرسول ﷺ وكل ما يُقرّبهم إليه، وإنما يبغض الرسول ﷺ وقربه الكافر و المنافق، وهنا كان وجه حمل معنى الحديث في المنافقين وان لم يرد لهم ذكر صريح في الحديث.

ولقد اعتبر العلماء هذه الصفة من النفاق العقدي، ومنهم الإمام ابن عطية إذ قال في تفسيره لقوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة:14]: "وقوله:﴿... وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة:14] يعني: المنافقين لأنهم كانوا إذا وقفوا على ما يأتون به من بغض النبي ﷺ وشتمه وموالاة عدوه حلفوا أنهم لا يفعلون ذلك واستسهلوا الحنث." [1].

وقال ابن تيمية في ذكره لصور النفاق العقدي الأكبر: "فَمِنْ النِّفَاقِ مَا هُوَ أَكْبَرُ وَيَكُونُ صَاحِبُهُ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ؛ كَنِفَاقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أبي وَغَيْرِهِ؛ بِأَنْ يُظْهِرَ تَكْذِيبَ الرَّسُولِ ...أَوْ بُغْضَهُ..." [2].

الصورة الرابعة: الفرح بانخفاض دين الرسول والحزن بظهور دينه ﷺ: من صفات المنافقين الواردة في القرآن الكريم المسرة والفرح بكل ما يصيب دين الرسول ﷺ من الغلبة والهزيمة، والهم والحزن والغضب والضيق الشديد لما ينال دين الرسول من النصر والعز والمنعة، قال تعالى مبينا حال المنافقين تلك:﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [التوبة:50].

حبان في صحيحه (45/1). قال الشيخ الألباني: صحيح ، سلسلة الصحيحة (2405) .وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان:" إسناده صحيح على شرط البخاري."

(1)ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (280/5).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (434/28).

قال ابن جرير في بيانه لهذه الصفة من خلال تفسيره لمعنى هذه الآية: " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ يُصِبْكَ سُرُورٌ بِفَتْحِ اللَّهِ عَلَيْكَ أَرْضَ الرُّومِ فِي غَزَاتِكَ هَذِهِ يَسُؤِ الْجَدَّ بْنَ قَيْسٍ وَنُظَرَاءَهُ وَأَشْيَاعَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ بِفُلُولِ جَيْشِكَ فِيهَا يَقُولُ الْجَدُّ وَنُظَرَاؤُهُ: ﴿... قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة:50]؛ أَيْ قَدْ أَخَذْنَا حِذْرَنَا بِتَخَلُّفِنَا عَنْ مُحَمَّدٍ وَتَرْكِ اتِّبَاعِهِ إِلَى عَدُوِّهِ. يَقُولُ: مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصِيبَهُ هَذِهِ الْمُصِيبَةُ ﴿...وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ... ﴾[التوبة:50] يَقُولُ: وَيَرْتَدُّوا عَنْ مُحَمَّدٍ، وَهُمْ فَرِحُونَ بِمَا أَصَابَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ مِنَ الْمُصِيبَةِ بِفُلُولِ أَصْحَابِهِ وَانْهِزَامِهِمْ عَنْهُ وَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ...

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ ...﴾[التوبة:50] يَقُولُ: إِنْ تُصِبْكَ فِي سَفَرِكَ هَذَا لِغَزْوَةِ تَبُوكَ حَسَنَةٌ، تَسُؤْهُمْ. قَالَ: الْجَدُّ وَأَصْحَابُهُ" [1].

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره بإسناده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما أنه قَالَ: "جَعَلَ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا بِالْمَدِينَةِ يُخْبِرُونَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَارَ السُّوءِ، يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ قَدْ جَهِدُوا فِي سَفَرِهِمْ وَهَلَكُوا، فَبَلَغَهُمْ تَكْذِيبُ حَدِيثِهِمْ، وَعَافِيَةُ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ ﷺ فَسَاءَهُمْ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ: ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [التوبة:50]" [2].

وقال ابن تيمية في بيانه لهذه الصفة في المنافقين: "فَمِنْ النِّفَاقِ مَا هُوَ أَكْبَرُ وَيَكُونُ صَاحِبُهُ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ؛ كَنِفَاقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أبي وَغَيْرِهِ؛ بِأَنْ يُظْهِرَ تَكْذِيبَ الرَّسُولِ... أَوْ الْمَسَرَّةَ بِانْخِفَاضِ دِينِهِ أَوْ الْمُسَاءَةِ بِظُهُورِ دِينِهِ." [3].

الصورة الخامسة: الاستهزاء بالله وآياته ورسوله ﷺ:

ذكر الله في كتابه الكريم هذه الخصلة الذميمة عن المنافقين في غير ما آية، ومن ذلك قوله تعال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (17/341-343)

(2) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، (6/1810-1811)

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (28/434)

السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة:13-15]. لقد كان الدافع لاستهزاء المنافقين بالمؤمنين هو إيمانهم بالله ورسوله ﷺ ولما جاء به من الدين، ولأجل ذلك وصفهم المنافقون بالسَّفه.

قال الإمام الواحدي: "قوله: ﴿ كَمَا آمَنَ النَّاسُ ...﴾ [البقرة:13] ، قال جميع المفسرين: المراد بالناس في هذه الآية أصحاب محمد ﷺ والذين آمنوا به، والمعنى: وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: آمنوا بمحمد ﷺ كما آمن أصحابه، قال ابن عباس: يريد المهاجرين والأنصار.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:13] الألف في أنؤمن استفهام معناه: الجحد والإنكار، أي: لا نفعل كما فعلوا، والسفهاء: الجهال الذين قلت عقولهم...وعنوا بالسفهاء: أصحاب محمد ﷺ، قال ابن عباس: قالوا: أولئك سفهاؤنا...قال ابن عباس: فرد الله عليهم جواب كفرهم؛ فقال: ألا إنهم هم السفهاء لا المؤمنون الذين صدقوا محمدًا ﷺ، ولكن لا يعلمون ولكنهم لا يعلمون ما يقولون." (1).

ولقد بين الشارع الحكيم أن الاستهزاء بالله ورسوله والدين لا يمكن أن يصدر من مؤمن، وصدوره إن صدر ممن يعلن الإسلام هو دليل على نفاقه قال ﷻ:﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[النساء:140].

في هذه الآية نهى الله ﷻ المؤمنين من الجلوس في المجالس التي يُستهزأ فيها بآيات الله وشرائع دينه الحنيف، وبين سبحانه أن ذلك الاستهزاء لا يصدر إلا ممن كان كافرا أو منافقاً.

قال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ في تفسيره لهذه الآية: "لَمَّا هَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ جَعَلَ الْمُنَافِقُونَ يجالسون المسلمين، إذا سَمِعُوا الْقُرْآنَ خَاضُوا واستهزئوا كَفِعْلِ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: لَا حَرَجَ عَلَيْنَا قَدْ

(1) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: (1/89-90).

رَخَّصَ اللَّهُ لَنَا فِي مُجَالَسَتِهِمْ، مَا عَلَيْنَا فِي خَوْضِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، فَنَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ قَوْلُهُ: ﴿... ﴾ (النساء:140) "[1].

ومن صور استهزاء المنافقين بالله ﷻ ورسوله ﷺ ما حكاه الله عنهم في قوله تعالى:﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:64-66].

عند النظر في هذه الآية نجد أنها تحدثت عن أظهر صور استهزاء المنافقين في القرآن الكريم؛ وذلك لاشتمالها على الاستهزاء الصريح بالله ورسوله والمؤمنين، ولقد روى أئمة الحديث والتفسير طرفاً من صور هذا الاستهزاء الصريح ومن ذلك ما يلي:

1-وصف النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم بكثرة الأكل والكذب في الحديث والجبن عند قتال الأعداء، عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قال: "إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَالَ لِعَوْفِ بْنِ مَالِكٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا لِقُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَنَا بُطُونًا وَأَكْذَبَنَا أَلْسِنَةً وَأَجْبَنَنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ، فَقَالَ لَهُ عَوْفٌ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَقَالَ زَيْدٌ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ، يَقُولُ:﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ (التوبة:65) فَيَقُولُ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ (التوبة:65) مَا يَزِيدُهُ" [2].

2-ويتحدث مجاهد عن صورة أخرى من صور استهزاء المنافقين بالنبي ﷺ وذلك بأخباره ببعض المغيبات التي اختصه الله بعلمها؛ فيقول عند تفسيره لقوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (التوبة:65):"قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: يُحَدِّثُنَا مُحَمَّدٌ أَنَّ نَاقَةَ فُلَانٍ بِوَادِي كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، وَمَا يُدْرِيهِ مَا الْغَيْبُ"[3].

3-وأما قَتَادَةَ فينقل لنا صورة ثالثة لاستهزاء المنافقين بالنبي ﷺ وذلك بالتشكيك في قدرته ﷺ في التغلب على الروم عند قتالهم؛ فيقول فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ

---

(1) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، (1317/4).
(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (543/1).
(3) تفسير مجاهد، 1410ه، ص: (371).

خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:65] : "بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَرَكْبٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَسْتَهْزِءُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالُوا: أَيَظُنُّ هَذَا أَنْ يَفْتَتِحَ قُصُورَ الرُّومِ، وَحُصُونَهَا؟ فَأَطْلَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى مَا قَالُوا، فَقَالَ: (عَلَيَّ بِهَؤُلَاءِ النَّفْرِ) فَدَعَاهُمْ، فَقَالَ: (أَقُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟)، فَحَلَفُوا مَا كُنَّا إِلَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ." [(1)].

الصورة السادسة: وصف النبي ﷺ بما لا يليق به: من الواجبات الإيمانية على كل مؤمن تعظيم الرسول ﷺ وتوقيره وإجلاله عن كل منقصة، والتأدب معه غاية الأدب، وصون عرضه ﷺ، والذب عنه بالغالي والنفيس، لكن المنافقين كانوا على النقيض من ذلك تماما، فلقد قص الله عنهم في غير ما آية وصفهم النبي بعظائم الأمور ومن ذلك ما يلي:

1- وصف النبي ﷺ بأنه (أُذن) أي: يصدق كل ما يقال له، وذلك كناية عن كونه ﷺ غُفْلٌ يسهلُ الضحك عليه وحاشاه ﷺ من ذلك،قوله تعالى:﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:61].

قال ابن جرير:"يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ جَمَاعَةٌ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُعِيبُونَهُ، وَيَقُولُونَ: هُوَ أُذُنٌ سَامِعَةٌ، يَسْمَعُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ مَا يَقُولُ فَيَقْبَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ... وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي نَبْتَلِ بْنِ الْحَارِثِ...عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: "ذَكَرَ اللَّهُ عَيْبَهُمْ، يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ وَأَذَاهُمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ :﴿... وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ...﴾[التوبة:61] الْآيَةَ، وَكَانَ الَّذِي يَقُولُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ فِيمَا بَلَغَنِي نَبْتَلُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا مُحَمَّدٌ أُذُنٌ، مَنْ حَدَّثَهُ شَيْئًا صَدَّقَهُ، يَقُولُ اللَّهُ:﴿... قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ...﴾ [التوبة:61]؛ أَيْ يَسْتَمِعُ الْخَبَرَ وَيُصَدِّقُ بِهِ" [(2)].

---

(1) تفسير عبد الرزاق، 1419هـ، (158/2)

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، (534/11-537)

2- ومن ذلك أيضا وصفهم النبي ﷺ بالظلم وعدم العدل في قسمة الصدقات، ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:58].

قال الإمام مقاتل بن سليمان:" وَمِنْهُمْ يعني المنافقين مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ يعني يطعن عليك- نظيرها:﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة:1] ؛ وذلك أن النبي ﷺ قسم الصدقة وأعطى بعض المنافقين ومنع بعضا وتعرض له أبو الخواص فلم يعطه شيئا فقال أبو الخواص: ألا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاء الغنم وهو يزعم أنه يعدل، فقال النبي ﷺ: "لا أبالك، أما كان موسى راعيا، أما كان داود راعيا. فذهب أبو الخواص فقال النبي ﷺ: "احذروا هذا وأصحابه؛ فإنهم منافقون"، فأنزل الله ﴿فأنزل الله وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة:1] يعني يطعن عليك بأنك لم تعدل في القسمة قال تعالى:﴿... فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:61] " (1).

ولقد بين الإمام ابن جرير أن اعتراضهم على النبي ﷺ في قسمة الصدقات ليس الباعث له الدين، بل سببه حرمانهم منها، ولو أعطاهم لرضوا وسكتوا فقال: ":﴿... قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ...﴾ [التوبة:61] يَقُولُ: لَيْسَ بِهِمْ فِي عَيْبِهِمْ إِيَّاكَ فِيهَا وَطَعْنِهِمْ عَلَيْكَ بِسَبَبِهَا الدِّينُ، وَلَكِنِ الْغَضَبُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَإِنْ أَنْتَ أَعْطَيْتَهُمْ مِنْهَا مَا يُرْضِيهِمْ رَضُوا عَنْكَ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُعْطِهِمْ مِنْهُمْ سَخِطُوا عَلَيْكَ وَعَابُوكَ. " (2).

الصورة السابعة: البغض والمعاداة للمؤمنين: يبغض المنافقون المؤمنين ويكنون لهم العداوة المستحكمة، وذلك لان الباعث لتلك العداوة هو العداوة الدينية، ولذا فلن تزول هذه العداوة إلا بانتقال أحد طرفيها لدين الآخر.

ومن مظاهر هذه العداوة تمني المنافقين الفتنة في الدين والْعنَت والمشقة للمؤمنين، ولقد أخبرنا الله عن هذه الصفة في المنافقين في غير ما آية في كتابه الكريم؛ ومن ذلك قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (118) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

---

(1) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان، بيروت، دار إحياء التراث، ط1، 1423هـــ، (176/2)
(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (505/11-508)

(119) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:118-120].

قال ابن جرير:" وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿...وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ...﴾[آل عمران:118] فَإِنَّهُ يَعْنِي: وَدُّوا عَنَتَكُمْ، يَقُولُ: يَتَمَنَّوْنَ لَكُمُ الْعَنَتَ وَالشَّرَّ فِي دِينِكُمْ وَمَا يَسُوءُكُمْ وَلَا يَسُرُّكُمْ.... عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا...﴾ [آل عمران:118]، فِي الْمُنَافِقِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَوَلَّوْهُمْ"[1].

وأما السنة النبوية فلقد دلت على أن بغض المؤمنين دليل على النفاق ومحبتهم دليل على الإيمان؛ ومن أشهر الأمثلة على ذلك بغض الصحابة ﷺ وسبهم وتكفيرهم؛ فعن أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ)[2]، وعن البَرَاءَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، أَوْ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ)[3].

الصورة الثامنة: موالاة الكفار: أصل اشتقاق لفظ الموالاة في اللغة من الولي، ومن معانيها في اللغة – التي لها صلة بالبحث– المحبة، والقرب، والتّناصر، ونحو ذلك من المعاني، قال الإمام الأزهري في بيان معنى وَلْيُ: "... ولى: أَبُو عُبيدة وَغَيره: الْوَلْيُ: الْقرْب...وعَن ابْن الْأَعرَابي: الوَلِيّ: التَّابع الْمُحِبّ. وَقَالَ فِي قَول النبيّ ﷺ:(من كنت مَولاه فعليٌّ مَوْلَاهُ)[4]، أَي من أحبّني وتولاّني فَلْيتولّه ... وَأما قَوْله تَعَالَى: ﴿ ... وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ ... ﴾ [التوبة:23]؛ مَعْنَاهُ: من يَتَّبعهم وَنَصرهم"[5].

ولقد أشار ابن تيمية إلى هذا الأصل في معنى المولاة والمعاداة عند شرحه لحقيقتهما ومبينا موجباتهما فقال: "حَقِيقَة الْمُوَالَاة والمعاداة الَّتِي مبناها على الْمحبَّة والبغضة، فالموالاة تقتضى التحاب، وَالْجمع والمعاداة

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (707/5-713)

(2) صحيح البخاري، برقم (17)

(3) صحيح البخاري، برقم (3783)

(4)أخرجه الإمام احمد في المسند:(71/2)، وابن حبان في صحيحه:(6930) و (6931) .وأخرجه ابنُ أبي عاصم في "السنة" (1372)وقال الشيخ شعيب الارناؤط في تحقيقه لمسند الإمام احمد:" صحيح لغيره... متن الحديثِ صحيح ورد من طرق كثيرة تزيد على ثلاثين صحابياً، قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء(335/8):" متنه متواتر."

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، (321/15-325)

تقتضى التباغض والتفرق، وَاللهُ سُبْحَانَهُ قد ذكر الْمُوَالَاة وَالْجمع بَين الْمُؤمنِينَ فِي قولة تَعَالَى:﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:55] ، وَذكر الْعَدَاوَة بَينهم وَبَين الْكفَّار فَقَال:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة:51) ثمَّ ذكر حَال المستنصرين بهم فَإِن الْمُوَالَاة مُوجبهَا التعاون والتناصر." [1].

أما الأدلة الشرعية الدالة على اتصاف المنافقين بالموالاة والمحبة للكافرين ومناصرتهم ضد المؤمنين، فقد تحدث عنها القرآن الكريم في آيات عديدة منها الآتي:

أولا: قوله تعالى:﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء:138-139).

عَنِ السُّدِّيِّ قَوْلَهُ:﴿... أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾[النساء:139]:"أَمَّا أَوْلِيَاءَ فَنُوَالِيهِمْ فِي دِينِهِمْ وَنُظْهِرُهُمْ عَلَى عَوْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ." [2].

قال الإمام ابن جرير في تفسيره لمعنى اتخاذ المنافقين الكفار أولياء من دون المؤمنين: "أَمَّا قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء:139) فَمِنْ صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ. يَقُولُ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ: يَا مُحَمَّدُ، بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ أَهْلَ الْكُفْرِ بِي وَالْإِلْحَادِ فِي دِينِي. ﴿أَوْلِيَاءَ﴾[النساء:139] يَعْنِي أَنْصَارًا وَأَخِلَّاءَ، ﴿ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[النساء:139] يَعْنِي: مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ [النساء:139] يَقُولُ: "أَيَطْلُبُونَ عِنْدَهُمُ الْمَنْعَةَ وَالْقُوَّةَ بِاتِّخَاذِهِمْ إِيَّاهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِي يَقُولُ: ﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[النساء:139] " فَإِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ابْتِغَاءَ الْعِزَّةِ عِنْدَهُمْ، هُمُ الْأَذِلَّاءُ الْأَقِلَّاءُ، فَهَلَا اتَّخَذُوا الْأَوْلِيَاءَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَلْتَمِسُوا الْعِزَّةَ وَالْمَنَعَةَ وَالنُّصْرَةَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، الَّذِي لَهُ الْعِزَّةُ وَالْمَنْعَةُ، الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيُعِزَّهُمْ وَيَمْنَعَهُمْ؟" [3].

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (319/2)

(2) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، (1092/4)

(3) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (601/7).

ولقد أشار الإمام البغوي لمعنى من معاني موالاة الكفار؛ وهو اتخاذهم بطانة فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ...﴾ [النساء:139] يَعْنِي: يَتَّخِذُونَ الْيَهُودَ أَوْلِيَاءَ وَأَنْصَارًا أَوْ بِطَانَةً ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ [النساء:139] أَيْ: الْمَعُونَةَ وَالظُّهُورَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ: وَقِيلَ: أَيَطْلُبُونَ عِنْدَهُمُ الْقُوَّةَ وَالْغَلَبَةَ، ﭽﻮ ﯗﭼ (النساء:139) أَيْ: الْغَلَبَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْقُدْرَةَ، ﭽﯘ ﯙﭼ (النساء:139) "[1].

من خلال ما سبق من أقوال أهل العلم في معنى الآيات نلحظ أنهم قد بينوا معنى موالاة المنافقين للكفار وصورها؛ فيما يلي:

1- موالاة الكفار في دينهم كما قاله السدي.
2- موالاة الكفار بنقل عورات المؤمنين وأسرارهم إلى الكفار كما قاله السدي.
3- موالاة الكفار باتخاذهم إخلاء وبطانة من دون المؤمنين كما قاله الطبري والبغوي.
4- موالاة الكفار بمناصرتهم على المؤمنين وان لم يكونوا على دين الكفار كما قاله ابن جرير والبغوي.

ثانيا:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة:14]. وللتولي في هذه الآية عند السلف معنيان:

الأول: تقديم النصح والمشورة للكفار لإلحاق الأذى والضرر بالمؤمنين:

وفي هذا المعنى جاء قول الإمام مقاتل بن سليمان: "قوله:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[المجادلة:14] يقول: ألم تنظر يا محمد إلى الذين ناصحوا اليهود بولايتهم، فهو عبد الله بن نبتل المنافق، يقول الله تعالى مَا هُمْ ﴾[المجادلة:14) يعني المنافقين عند الله ﴿ مِنْكُمْ﴾ (المجادلة:14) يا معشر المسلمين ﴿ وَلَا مِنْهُمْ ﴾(المجادلة:14) يعني من اليهود في الدين والولاية فقال النبي ﷺ لعبد الله بن نبتل: (إنك تواد اليهود) فحلف عبد الله بالله أنّه لم يفعل، وأنه ناصح، فأنزل الله تعالى:﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة:14]أنهم كذبة:﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [المجادلة:15] في الآخرة: :﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [المجادلة:15] يعني بئس ما كانوا يعملون، ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ (المجادلة:15)، يعني حلفه

(1) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن:(300/2).

﴿جُنَّةً ﴾ من القتل، ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾؛ يعني دين الإسلام﴿ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [المجادلة:16] "(1).

وذهب إلى هذا المعنى قتادة وابن جرير رحمهما الله.(2).

الثاني: نقل أسرار المؤمنين ونقاط قوتهم م وضعفهم للكفار.

وفي هذا المعنى جاء قول الإمام السدي في سبب نزول هذه الآية: "نزلت في عبد الله بن أبي وعبد الله بن نبتل المنافقَين، كان أحدهما يجالس النبي ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود ..." (3).

وقال الإمام الواحدي: "قوله:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا ...﴾ [المجادلة:14] الآية نزلت في المنافقين، تولوا اليهود، ونقلوا إليهم أسرار المسلمين، وأراد بقوله: ﴿... قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ...﴾ [المجادلة:14]) اليهود، ﴿... مَا هُمْ ...﴾ [المجادلة:14] يعني: المنافقين؛ ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود، ﴿ ... وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ ...﴾ [المجادلة:14] وذلك: أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن نبتل المنافق: (على ماذا تشتمني أنت وأصحابك؟) (4) فحلفوا أنهم لم يفعلوا، ولم يوالوا اليهود، فذلك قوله: ﴿... وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة:14] أنهم كذبة." (5).

الصورة التاسعة: اعتقاد قبح أو كره –كل أو بعض– ما أنزل الله تعالى:

لقد قص الله في كتابه الكريم كراهية المنافقين لأحكام دينه ومن ذلك ما يلي:

---

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، (487/22).

(3)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1423هـ، (304/17).

(4) أخرجه احمد في مسنده بلفظ مقارب:(317/5) وقال المحقق شعيب الأرناؤوط: "إسناده حسن" ،والطبراني في المعجم الكبير:(7/12)،والحاكم في مستدركه:(524/2)، وقال:" هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ."والضياء في المختارة:(179/10) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:(122/7) ": رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَزَّارُ، وَرِجَالُ الْجَمِيعِ رِجَالُ الصَّحِيحِ."

(5) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (267/4)

أولا: كراهتهم لأداء الصلاة والإنفاق في سبيل الله كأداء الزكاة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:54].

قال ابن جرير الطبري :"يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا مَنَعَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمُ الَّتِي يُنْفِقُونَهَا فِي سَفَرِهِمْ مَعَكَ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السُّبُلِ ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ [التوبة:54] فَـ﴿أَنْ﴾ الْأُولَى فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، وَالثَّانِيَةُ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: مَا مَنَعَ قَبُولَ نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا كُفْرُهُمْ بِاللَّهِ. ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ (التوبة:54) يَقُولُ: لَا يَأْتُونَهَا إِلَّا مُتَثَاقِلِينَ بِهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ بِأَدَائِهَا ثَوَابًا وَلَا يَخَافُونَ بِتَرْكِهَا عِقَابًا، وَإِنَّمَا يُقِيمُونَهَا مَخَافَةً عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِتَرْكِهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا أَمَّنُوهُمْ لَمْ يُقِيمُوهَا. ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ﴾[التوبة:54] يَقُولُ: وَلَا يُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا ﴿إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:54] أَنْ يُنْفِقُوهُ فِي الْوَجْهِ الَّذِي يُنْفِقُونَهُ فِيهِ مِمَّا فِيهِ تَقْوِيَةٌ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ." [1].

ثانيا: كراهية الجهاد في سبيل الله: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة:81].

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: "وَذِكْرُ فَرَحِهِمْ دَلَالَةٌ عَلَى نِفَاقِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ لَكَانَ التَّخَلُّفُ نَكَدًا عَلَيْهِمْ وَنَغْصًا كَمَا وَقَعَ لِلثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...

وكَرَاهِيَتُهُمُ الْجِهَادَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَصْلَةٌ أُخْرَى مِنْ خِصَالِ النِّفَاقِ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِذَلِكَ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ:(وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (التوبة:41) الْآيَةَ، وَلِكَوْنِهَا خَصْلَةً أُخْرَى جُعِلَتْ جُمْلَتُهَا مَعْطُوفَةً وَلَمْ تُجْعَلْ مُقْتَرِنَةً بِلَامِ التَّعْلِيلِ مَعَ أَنَّ فَرَحَهُمْ بِالْقُعُودِ سَبَبُهُ هُوَ الْكَرَاهِيَةُ لِلْجِهَادِ." [2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية مجليا حكم من اعتقد قبح أحكام الملة والدين أو كرهها كلها أو شيئا منها: "فَمن اعْتقد قبح مَا أَمر الله بِهِ أَمر إِيجَاب أَو اسْتِحْبَاب أَو أبْغض ذَلِك وَكرِههُ بِحَيْثُ يتألم على فعله ويتأذى بِوُجُودِهِ فَفِيهِ من النِّفَاق بِحَسب ذَلِك وَهُوَ إِمَّا نفاق أكبر يُخرجه من أصل الْإِيمَان وَإِمَّا نفاق أَصْغَر

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (11/ 499-500)

(2) ابن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (10/280-281).

يُخرجهُ من كَمَاله الْوَاجب عَلَيْهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد:28]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة:124-125]. وَقَالَ تَعَالَى:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾(الإسراء:82).

بل إِذا علم العَبْد أَن هَذَا الْفِعْل قد أمره الله بِهِ وأحبه فَاعْتقد هُوَ أَن ذَلِك لَيْسَ مِمَّا أَمر الله بِهِ وأبغضه وَكرِهَهُ فَهُوَ كَافِر بِلَا ريب فَمثل هَذِه التَّوْبَة عَن الْحَسَنَات هِيَ ردة مَحْضَة عَن الْإِيمَان وَكفر بِالْإِيمَان وَمن يكفر بِالْإِيمَان فقد حَبط عمله وَهُوَ فِي الْآخِرَة من الخاسرين." [1].

وأما الحكمة في اعتبار من اعتقد قبح أحكام الملة والدين أو كرهها كلها أو شيئا منها منافقا النفاق الأكبر فذلك لان فيه مناقضة لأعظم أعمال القلوب وهي المحبة لله ولرسوله ولكل ما أمر به الشرع المطهر، الذي لا يتم إيمان العبد بدونه، ولذا كثيرا ما يتخلف الالتزام بأوامر الله والرسول عند من كان كارها مبغضا لأحكام الشريعة الغراء.

لكن ينبغي أن يعلم انه ليس كل كره لحكم شرعي يلزم عنه النفاق والكفر وذلك لان الكره نوعان:

الأول: ما يسمى بالكره والنفور الطبعي.

الثاني: الكره الاعتقادي. وهو المراد به هنا وهو من صور النفاق العقدي.

فالأول ليس بكفر لأنه أمر فطري لا يملكه العبد، وهو لا يقع على ذات التشريع، ومثاله في أحكام الملة والدين ككره الزوجة أن يُعدِّد عليها زوجها، فالزوجة لم يقع كرهها على ذات التشريع، وإنما كرهت أن يتزوج زوجها زوجة أخرى، تكون قسيمة وضرة لها. أو ككراهية الإنسان من المشقة التي قد تناله عند قيامه بعمل ما، ككره المتوضئ الوضوء في اليوم البارد، كما قال عليه الصلاة والسلام: "إسباغ الوضوء على المكاره" [2]. أو ككره المؤمنين للقتال لما فيه من فقد النفس والمال كما قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (1/248-249).

(2) صحيح مسلم، برقم: (251).

تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:216]. وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي قَوْلِهِ: وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ يَعْنِي: "الْقِتَالَ هُوَ مَشَقَّةٌ لَكُمْ." (1).
وعَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ: "شَدِيدٌ عَلَيْكُمْ." (2).

وقال الإمام الواحدي في تفسيره لمعنى الآية:"وهذا الكره من حيث المشقة الداخلة على النفس وعلى المال من المئونة، لا أنهم كانوا يكرهون فرض الله." (3). وبتفسير الإمام الواحدي قال الإمام البغوي (4).

ولقد ذهب ابن القيم أن مثل هذا الكره لا ينافي الرضى والتسليم لأمر الله تعالى (5).

تنبيه مهم:

يحسن بنا هنا في ختام الحديث عن صور القسم الأكبر من النفاق التنبيه على أن عامة هذه الصور كانت في حق الرسول ﷺ ولقد نبه إلى ذلك قديما الإمام ابن تيمية فقال: "فَالنِّفَاقُ يَقَعُ كَثِيرًا فِي حَقِّ الرَّسُولِ وَهُوَ أَكْثَرُ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ نِفَاقِ الْمُنَافِقِينَ فِي حَيَاتِهِ ..." (6).

ومن الأمثلة التي سبق ذكرها تكذيبه ﷺ، وبغضه، والاستهزاء به، ووصفه بما لا يليق.

المطلب الثاني: صور النفاق الأصغر العملي:

الأصل في هذا القسم ما ورد في السنة النبوية الصحيحة من ذكر العلامات الدالة على خصال المنافقين الظاهرة مما يتعلق بسلوكهم وأخلاقهم؛ ومن ذلك ما رواه أَبو هُرَيْرَة ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) (7).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (ثَلَاثٌ فِي الْمُنَافِقِ وَإِنْ صَلَّى وَإِنْ صَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ) (8).

---

(1) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، (383/2).
(2) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم،(383/2).
(3) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (319/1).
(4) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (246/1).
(5) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: (175/2).
(6) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (639/7).
(7) أخرجه البخاري برقم (33)، ومسلم (59).
(8) أخرجه مسلم برقم (59).

وفي رواية من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا، أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ الْأَرْبَعِ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) [1].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ: (وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ) [2].

ولقد أشكلت هذه الأحاديث على البعض، ووجه الإشكال هنا بيّنه الإمام النووي بقوله: "قَوْلُهُ ﷺ (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ وَفِي رِوَايَةٍ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا عَدَّهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مُشْكِلًا مِنْ حَيْثُ إِنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ تُوجَدُ فِي الْمُسْلِمِ الْمُصَدِّقِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَكٌّ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ مُصَدِّقًا بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَفَعَلَ هَذِهِ الْخِصَالَ لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِكُفْرٍ وَلَا هُوَ مُنَافِقٌ يُخَلَّدُ فِي النَّارِ فَإِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ ﷺ جَمَعُوا هَذِهِ الْخِصَالَ وَكَذَا وُجِدَ لِبَعْضِ السَّلَفِ وَالْعُلَمَاءِ بَعْضُ هَذَا أَوْ كُلُّهُ..." [3].

وللعلماء أقوال في الإجابة عن هذا الإشكال هي:

القول الأول: أجاب جمهور أهل العلم رحمهم الله بأن المراد بالنفاق في هذه الأحاديث هو النفاق (الأصغر) وليس المراد به النفاق الأكبر المخرج من الملة، وفي تقرير هذا المراد قال الإمام الترمذي بعد إيراده لحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَإِنَّمَا مَعْنَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ نِفَاقُ العَمَلِ" [4].

ولقد علل الإمام أبو العباس القرطبي السبب لمن ذهب إلى هذا القول فقال: "ووجهُ هذا: أنَّ مَنْ كَانَتْ فيه هذه الخصالُ المذكورة، كان ساترًا لها، ومظهرًا لنقائضها؛ فصدَقَ عليه اسمُ منافق" [5].

---

(1) أخرجه لبخاري برقم (2459) ، و مسلم (58).

(2) مسلم، برقم (106).

(3) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: (46/2).

(4) الترمذي، سنن الترمذي، : (19/5) .

(5)القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: (15/2).

ولقد ذهب إلى هذا القول الإمام القرطبي وَاسْتَدَلَّ لَهُ بِقَوْلِ عُمَرَ لِحُذَيْفَةَ: "هَلْ تَعْلَمُ فِيَّ شَيْئًا مِنَ النِّفَاقِ. "فَإِنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ نِفَاقَ الْكُفْرِ وَإِنَّمَا أَرَادَ نِفَاقَ الْعَمَلِ" (1).

ولقد رجح ابن حجر العسقلاني ما ذهب إليه القرطبي من القول والاستدلال فقال معقبا على قول القرطبي: "وَيُؤَيِّدُهُ وَصْفُهُ بِالْخَالِصِ فِي الْحَدِيثِ الثَّانِي بِقَوْلِهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا..." (2).

قلت: استدلال القرطبي بسؤال عمر لحذيفة على صحة هذا القول فيه نظر، فمن المعلوم أن النبي ﷺأسرّ إلى حذيفة بأسماء المنافقين النفاق الأكبر المخرج من الملة وعمرﷺ معلوم أنه لم يكن مكذباً بالنبي ولكنه يعلم أيضا أن النفاق الأكبر له صور عديدة فهو ﷺ لورعه وتقواه يخشى أن يكون واقعا فيها –وحاشاه– خاصة أنه يتذكر اعتراضه على النبي ﷺ في صلح الحديبية؛ وذلك كان بقصد الانتصار لله والرسول وعدم إعطاء الدنية في الدين حتى قال ﷺ: إنه عمل أعمالا صالحة لأجل أن يغفر الله له ذلك الفعل، ومما يؤيد هذا المعنى ما ورد عن عمرﷺ أنه كان لا يصلي على من لم يتيقن إيمانه حتى يصلي عليه حذيفة لعله يكون من المنافقين الذين أسرّ ﷺ إلى حذيفة بأسمائهم.

وممن ذهب إلى هذا القول ابن تيمية فقد حمل الأحاديث هنا على أنها مثال على النفاق الأصغر العملي (3).

القول الثاني: قول من يرى من أهل العلم بأن المراد به نهي الشارع الحكيم المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين (النفاق الأكبر) فيكون ديدهم وسيرتهم دوما الكذب في الحديث كلما حدثوا، وكذا خيانة الأمانة وإخلاف الوعد ونقض العهد...الخ من خصال وأخلاق المنافقين التي عرفوا بها في الكتاب والسنة، وفي بيان هذا المعنى قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: "كَذَلِكَ الْحَدِيثُ: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حدَّث كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ). وَقَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ: "الْغِنَاءُ ينبت النفاق في القلب".لَيْسَ وُجُوهُ هَذِهِ الْآثَارِ كُلِّهَا مِنَ الذُّنُوبِ أَنَّ رَاكِبَهَا يَكُونُ جَاهِلًا وَلَا كَافِرًا وَلَا مُنَافِقًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ، ومؤدٍ لِفَرَائِضِهِ،

---

(1) القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: (15/2).
(2) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: (91/1).
(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (436-435/28).

وَلَكِنْ مَعْنَاهَا أَنَّهَا تَتَبَيَّنُ مِنْ أَفْعَالِ الْكُفَّارِ مُحَرَّمَةٌ مَنْهِيٌّ عَنْهَا فِي الْكِتَابِ وَفِي السُّنَّةِ لِيَتَحَامَاهَا الْمُسْلِمُونَ وَيَتَجَنَّبُوهَا فَلَا يَتَشَبَّهُوا بِشَيْءٍ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَلَا شَرَائِعِهِمْ." (1).

وقال ابن أبي زمنين في شرحه لمراد الشارع بتلك الأحاديث: "فَمَا كَانَ مِنْ اَلْأَحَادِيثِ فِيهَا ذِكْرُ اَلنِّفَاقِ وَلَيْسَ مَعْنَاهَا أَنَّ مَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِمَّا ذُكِرَ فِيهَا فَهُوَ مُنَافِقٌ كَنِفَاقِ مَنْ يُظْهِرُ اَلْإِسْلَامَ وَيُسِرُّ اَلْكُفْرَ أَنَّهَا مَعْنَاهَا أَنَّ هَذِهِ اَلْأَفْعَالَ وَالْأَخْلَاقَ مِنْ أَخْلَاقِ اَلْمُنَافِقِينَ وَشِيَمِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ..." (2).

ولقد بين الإمام النووي أن هذا الجواب هو الذي فيه حل الإشكال لمن استشكل معنى هذه الأحاديث ونسبه إلى المحققين من أهل العلم فقال : "وَهَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى إِشْكَالٌ، وَلَكِنِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَاهُ؛ فَالَّذِي قَالَهُ الْمُحَقِّقُونَ وَالْأَكْثَرُونَ وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ خِصَالُ نِفَاقٍ وَصَاحِبُهَا شَبِيهٌ بالمنافقين فِي هَذِهِ الْخِصَالِ وَمُتَخَلِّقٌ بِأَخْلَاقِهِمْ فَإِنَّ النِّفَاقَ هُوَ إِظْهَارُ مَا يُبْطِنُ خِلَافَهُ وَهَذَا الْمَعْنَى مَوْجُودٌ فِي صَاحِبِ هَذِهِ الْخِصَالِ وَيَكُونُ نِفَاقُهُ فِي حَقِّ مَنْ حَدَّثَهُ وَوَعَدَهُ وَائْتَمَنَهُ وَخَاصَمَهُ وَعَاهَدَهُ مِنَ النَّاسِ لَا أَنَّهُ مُنَافِقٌ فِي الْإِسْلَامِ فَيُظْهِرُهُ وَهُوَ يُبْطِنُ الْكُفْرَ وَلَمْ يُرِدِ النَّبِيُّ ﷺ بهَذَا أَنَّهُ مُنَافِقٌ نفاقَ الْكُفَّارِ الْمُخَلَّدِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَقَوْلُه ﷺ: (كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا) مَعْنَاهُ شَدِيدُ الشَّبَهِ بِالْمُنَافِقِينَ بِسَبَبِ هَذِهِ الْخِصَالِ، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: وَهَذَا فِيمَنْ كَانَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ غَالِبَةً عَلَيْهِ فَأَمَّا من يندر ذلك منه فَلَيْسَ دَاخِلًا فِيهِ فَهَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ ..." (3).

ولقد رد ابن حجر هذا المعنى للحديث فقال: "وَقَدْ قِيلَ فِي الْجَوَابِ عَنْهُ إِنَّ الْمُرَادَ بِالنِّفَاقِ نِفَاقُ الْعَمَلِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَهَذَا ارْتَضَاهُ الْقُرْطُبِيُّ وَاسْتَدَلَّ لَهُ بِقَوْلِ عُمَرَ لِحُذَيْفَةَ: "هَلْ تَعْلَمُ فِيَّ شَيْئًا مِنَ النِّفَاقِ" فَإِنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ نِفَاقَ الْكُفْرِ وَإِنَّمَا أَرَادَ نِفَاقَ الْعَمَلِ، وَيُؤَيِّدُهُ وَصْفُهُ بِالْخَالِصِ فِي الْحَدِيثِ الثَّانِي بِقَوْلِهِ: (كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا)..." (4).

القول الثالث: وهو ما ذهب إليه الإمام الخطابي من أن المراد بِإِطْلَاقِ النِّفَاقِ الْإِنْذَارُ وَالتَّحْذِيرُ عَنِ ارْتِكَابِ هَذِهِ الْخِصَالِ وَأَنَّ الظَّاهِرَ غَيْرُ مُرَادٍ فقال في قَوْلِهِ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ»: "هَذَا الْقَوْلُ إِنَّمَا خَرَجَ عَلَى

---

(1) أبو عبيد، الإيمان "ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته "، (92).
(2) ابن أبي زمنين، أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة: ص (247).
(3) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (46/2).
(4) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: (91/1).

سَبِيلِ الْإِنْذَارِ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، وَالتَّحْذِيرِ لَهُ أَنْ يَعْتَادَ هَذِهِ الْخِصَالَ، فَتُفْضِي بِهِ إِلَى النِّفَاقِ، لَا أَنَّ مَنْ بَدَرَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْخِصَالُ، أَوْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ اعْتِيَادٍ أَنَّهُ مُنَافِقٌ.

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ ذُكِرَ لَهُ هَذَا الْحَدِيثُ، فَقَالَ: إِنَّ بَنِي يَعْقُوبَ حَدَّثُوا فَكَذَبُوا، وَوَعَدُوا فَأَخْلَفُوا، وَاؤْتُمِنُوا فَخَانُوا.

وَالنِّفَاقُ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يُظْهِرَ صَاحِبُهُ الإِيمَانَ وَهُوَ مُسِرٌّ لِلْكُفْرِ كَالْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالثَّانِي: تَرْكُ الْمُحَافَظَةِ عَلَى حُدُودِ أُمُورِ الدِّينِ سِرًّا، وَمُرَاعَاتُهَا عَلَنًا، فَهَذَا يُسَمَّى مُنَافِقًا، وَلَكِنَّهُ نِفَاقٌ دُونَ نِفَاقٍ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ) [1]، وَإِنَّمَا هُوَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ.

وَأَمَّا بَنُو يَعْقُوبَ، فَكَانَ ذَلِكَ الْفِعْلُ مِنْهُمْ نَادِرًا، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَيْهِ، بَلْ تَابُوا وَتَحَلَّلُوا مِمَّنْ جَنَوْا عَلَيْهِ، وَسَأَلُوا أَبَاهُمْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، فَلَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْهُمْ صِفَةُ النِّفَاقِ." [2].

القول الرابع: حكاه الإمام القرطبي عن بعض أهل العلم فقالوا : "أنّه محمولٌ على مَنْ غلبتْ عليه هذه الخصال، واتَّخَذَها عادةً، ولم يبال بها؛ تهاونًا واستخفافًا بأمرها؛ فإنَّ مَنْ كان هكذا، كان فاسدَ الاعتقادِ غالبًا، فيكونُ منافقًا خالصًا." [3].

ولقد قرر الإمام ابن حجر أن هذه الأقوال الثلاثة الأخيرة بينها قاسم مشترك هو كونها: "...كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّامَ فِي الْمُنَافِقِ لِلْجِنْسِ" [4].

القول الخامس: ما نقله الإمام النووي عن الإمام الخطابي فقال: "وحَكَى الْخَطَّابِيُّ أَيْضًا عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الْحَدِيثَ وَرَدَ فِي رَجُلٍ بِعَيْنِهِ مُنَافِقٍ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يُوَاجِهُهُمْ بِصَرِيحِ الْقَوْلِ فَيَقُولُ فُلَانٌ مُنَافِقٌ، وَإِنَّمَا كَانَ يُشِيرُ إِشَارَةً؛ كَقَوْلِهِ ﷺ :(مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا) وَاللَّهُ أَعْلَمُ..." [5].

---

(1) أخرجه البخاري، برقم: (48) ومسلم في صحيحه برقم: (116).

(2) البغوي، شرح السنة: (1/76-77).

(3) القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: (15/2).

(4) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (1/91).

(5) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (2/48).

القول السادس: هو ما حكاه الإمام النووي عن جماعة من العلماء فقال: "...وقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُرَادُ بِهِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثُوا بِإِيمَانِهِمْ وَكَذَبُوا وَاؤْتُمِنُوا عَلَى دِينِهِمْ فَخَانُوا وَوَعَدُوا فِي أَمْرِ الدِّينِ وَنَصْرِهِ فَأَخْلَفُوا وَفَجَرُوا فِي خُصُومَاتِهِمْ وَهَذَا قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ وَرَجَعَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَلَى خِلَافِهِ وَهُوَ مروى عن بن عباس وبن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَوَيَاهُ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَإِلَيْهِ مَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّتِنَا..." [1].

ولقد كان الإمام ابن رجب الحنبلي أكثر تحديدا في نسبة هذا القول إلى أي المنتسبين للعلم فنسبه إلى أهل الإرجاء، كما أبطل صحة نسبة هذا القول لأئمة السلف فقال : "وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ حَمَلَهُ طَائِفَةٌ مِمَّنْ يَمِيلُ إِلَى الْإِرْجَاءِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّهُمْ حَدَّثُوا النَّبِيَّ ﷺ فَكَذَبُوهُ، وَائْتَمَنَهُمْ عَلَى سِرِّهِ فَخَانُوهُ، وَوَعَدُوهُ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ فِي الْغَزْوِ فَأَخْلَفُوهُ، وَقَدْ رَوَى مُحَمَّدٌ الْمُحْرِمُ هَذَا التَّأْوِيلَ عَنْ عَطَاءٍ، وَأَنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِ جَابِرٌ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَكَرَ أَنَّ الْحَسَنَ رَجَعَ إِلَى قَوْلِ عَطَاءٍ هَذَا لَمَّا بَلَغَهُ عَنْهُ، وَهَذَا كَذِبٌ، وَالْمُحْرِمُ هَذَا شَيْخٌ كَذَّابٌ مَعْرُوفٌ بِالْكَذِبِ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ هَذَا مِنْ وَجْهَيْنِ آخَرَيْنِ ضَعِيفَيْنِ أَنَّهُ أَنْكَرَ عَلَى الْحَسَنِ قَوْلَهُ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَقَالَ: قَدْ حَدَّثَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَكَذَبُوا، وَوَعَدُوا فَأَخْلَفُوا، وَائْتُمِنُوا فَخَانُوا وَلَمْ يَكُونُوا مُنَافِقِينَ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ عَنْ عَطَاءٍ، وَالْحَسَنُ لَمْ يَقُلْ هَذَا مِنْ عِنْدِهِ وَإِنَّمَا بَلَغَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. فَالْحَدِيثُ ثَابِتٌ عَنْهُ ﷺ لَاشَكَّ فِي ثُبُوتِهِ وَصِحَّتِهِ" [2]. ثم أنه حمل معنى ما ورد عن السلف كعطاء والحسن –إن صح عنهم– بأن المراد به الجواب عن سؤال هو: هل تصح تسمية مرتكب الكبيرة كافرا كفرا لا يخرج به عن الإسلام أم لا؟

فقال : "وَقَدْ سَبَقَ فِي أَوَائِلِ الْكِتَابِ ذِكْرُ الِاخْتِلَافِ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ فِي مُرْتَكِبِ الْكَبَائِرِ: هَلْ يُسَمَّى كَافِرًا كُفْرًا لَا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ أَمْ لَا؟ وَاسْمُ الْكُفْرِ أَعْظَمُ مِنَ اسْمِ النِّفَاقِ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الَّذِي أَنْكَرَهُ عَطَاءٌ عَلَى الْحَسَنِ إِنْ صَحَّ ذَلِكَ عَنْهُ" [3].

الراجح: يترجح القول الأول من أن المراد به النفاق العملي الأصغر، وهو الذي عليه عامة علماء السلف كما قرره الإمام الترمذي بقوله: "وَإِنَّمَا مَعْنَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ نِفَاقُ العَمَلِ." [1].

---

(1) المصدر نفسه، (47/2).
(2) ابن رجب، جامع العلوم والحكم: (480/2–481).
(3) ابن رجب، (480/2–493).

الخاتمة: (4)

أولا: أَساس النفاق في الاصطلاح الشرعي هو اختلاف السر والعلانية والظاهر والباطن؛ وهو بذلك يتفق مع المعنى اللغوي للنفاق؛ الذي هو إظهاره غير ما يضمر تشبيهاً باليربوع.

ثانيا: المنافق هو من يدخل في الإسلام باللفظ، ويخرج منه بالاعتقاد.

ثالثا: باستقراء السلف لنصوص الوحي – التي تحدثت عن النفاق – تبين لهم أنه ينقسم إلى قسمين: [القسم الأول: النفاق العقدي (الأكبر). القسم الثاني: النفاق العملي:(الأصغر)].

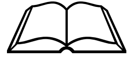
رابعا: النِّفَاقُ الْأَكْبَرُ، َهُوَ أَنْ يُظْهِرَ الْإِنْسَانُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيُبْطِنَ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ كُلَّهُ أَوْ بَعْضَهُ.

وأما النِّفَاقُ الْأَصْغَرُ، فهُوَ أَنْ يُظْهِرَ الْإِنْسَانُ عَلَانِيَةً صَالِحَةً، وَيُبْطِنَ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ. ويسمى صاحبه فاسقا.

خامسا: للنفاق الأكبر صور عديدة منها، وهي في الجدول الآتي:

1- تكذيب الله أو القرآن أو الرسول ﷺ.	2- الإعراض عن حكم الله ورسوله ﷺ.
3-الصورة الثالثة: بغض الرسول ﷺ.	4-الفرح بانخفاض دين الرسول ﷺ. والحزن بظهور دينه.
5-الاستهزاء بالله وآياته ورسوله ﷺ.	6- وصف النبي ﷺ. بما لا يليق به.
7- البغض والمعاداة للمؤمنين.	8- موالاة الكفار.
9- اعتقاد قبح أو كره –كل أو بعض– ما أنزل الله تعالى.	

سادسا: للنفاق الأصغر صور عديدة منها إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ.



---

(1) الترمذي، سنن الترمذي (19/5).

(5)

قائمة المصادر والمراجع

(1) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن، (1419هـ)، تفسير القرآن العظيم، ط3، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز.

(2) ابن الأثير، المبارك، (1399هـ – 1979م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، بيروت، المكتبة العلمية.

(3) ابن تيمية، أحمد، (1416هـ – 1995م)، مجموع الفتاوى، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(4) ابن تيمية، أحمد، (1415هـ – 1995م)، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ط3، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم.

(5) ابن تيمية، أحمد، (1422هـ – 2001م)، جامع الرسائل، ط1، الرياض، دار العطاء.

(6) ابن حجر، أحمد، (1379هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة.

(7) ابن رجب، عبد الرحمن، (1422هـ – 2001م)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ط7، بيروت، مؤسسة الرسالة.

(8) ابن عاشور، الطاهر، (1984هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس، الدار التونسية للنشر.

(9) ابن قيم الجوزية، محمد، (1393هـ – 1973م)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي.

(10) ابن قتيبة، عبد الله، (1398 هـ – 1978 م)، غريب القرآن، دار الكتب العلمية.

(11) ابن منظور، محمد، (1414هـ)، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر.

(12) ابن منده، محمد، الإيمان، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة.

(13) الآجري، محمد، (1420هـ – 1999م)، الشريعة، ط2، الرياض، دار الوطن.

(14) الأزدي، مقاتل، (1423هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، ط1، بيروت، دار إحياء التراث.

(15) الأصبهاني، أحمد، (1422هـ – 2001م)، صفة النفاق ونعت المنافقين، ط1، بيروت، البشائر الإسلامية.

(16) البغدادي، القاسم، (1384هـ – 1964م)، غريب الحديث، ط1، حيدر آباد–الدكن، دائرة المعارف العثمانية.

(17) البغوي، الحسين، (1403هـ – 1983م)، شرح السنة، ط2، دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي.

(18) البغوي، الحسين، (1417هـ – 1997م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع.

(19) الرازي، أحمد، (1399هـ – 1979م)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر.

(20) السمعاني، منصور، (1418هـ – 1997م)، تفسير القرآن، ط1، الرياض، دار الوطن.

(21) السيوطي، عبد الرحمن، (1424هـ ـ 2003م)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مصر، دار هجر.

(22) الطبري، محمد، تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، القاهرة، مطبعة المدني.

(23) الطبري، محمد، جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، ط1، دار هجر.

(24) العمراني، يحيى، (1419هـ/1999م)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ط1، الرياض، أضواء السلف.
(25) العكبري، عبيد الله، (1415هـ – 1994م)، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، ط2، الرياض، دار الراية.
(26) الفريابي، جعفر، (1405هـ)، صفة المنافق، ط1، الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.
(27) الفريابي، جعفر، القدر، أضواء السلف.
(28) المرسي، علي، (1421هـ – 2000م)، المحكم والمحيط الأعظم، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
(29) المرادي، أحمد، (1409هـ)، معاني القرآن الكريم، ط1، مكة المكرمة، جامعة أم القرى.
(30) النووي، يحيى، (1392هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
(31) الواحدي، علي، (1415هـ – 1994م)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
(32) الهروي، محمد، (2001م)، تهذيب اللغة، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

